

حدوتة
وأحد عشر بوحاً

الشاعر
حسن السيد

حدوته.. واحد عشربوحا

الشاعر

حسن السيد

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة . ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨

Editions Al-Adab 1923

42 Opera Square - Cairo Tel : (202) 23900868

[illegible]

الناشر

مَكتبة الآداب

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

- حسن ، السيد

- حدوته.. واحد عشر بوحًا / حسن السد.- ط١. القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠٢٥.

٧٢ص ، ٢٠سم

رقم الإيداع: ٢٠٢٥/١٥٧٠٨

تدمك: ٦ ٠٦٢٢١ ٩٣ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الشعر العربي - تاريخ - العصر الحديث

أ- العنوان

٨١١,٩

رقم الإيداع: ١٥٧٠٨ لسنة ٢٠٢٥م

الترقيم الدولي: I.S.B.N.

978-977-93-0621-6

الناشر

مَكتبة الآداب

أسسها علي حسن علي ١٩٢٣م

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة (١١١١١)

الطبعة الثانية ١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

Editions Al-Adab 1923

42 Opera Square – Cairo (11111)
Tel & Fax: (202)23900868
E-mail: adabook@hotmail.com

إهداء

إلى أمي،

التي علمتني أن أرى الله في كل شيء

عليها صلواتٌ من الله ورحمة.

كل ما كتبته، كان يبدأ من نورك

المقدمة

أقدم للقارئ الكريم ديوان (حدوتة وأحد عشر بوحًا) للشاعر الأستاذ حسن السيد الذي يجده بين يديه ، وهو ديوان شاعر متمرس ، صاحب تجربة شعرية ممتدة ، تجيش قصائده بأفكار مبتكرة وعاطفة صادقة كل الصدق صاغها في فصلين: أحدهما حواديت تجيش بها نفسه ، والفصل الثاني:أحد عشر بوحًا ، وجميعها تمثل جانبا من هموم الشاعر المفكر والإنسان : آماله وآلامه ، وقد اعتمد في عنوانات حواديته على المشابهة ، فجاءت معنونة بـ (كان يشبه الحلم وكانت تشبه الصلاة)، و(كان يشبه الغيم وكانت تشبه الريح) ، و(إشارة تشبه غيمة) ، و (الشيء الذي لا يشبه الحب)، وأعقبها الفصل الثاني موسومًا بـ (أحد عشر بوحًا) تمثل خلاصة همومه بوصفه إنسانا وبوصفه عاشقا للحب ، وللوطن ، يتملكه الإحساس بالوطن ، وقد جاءت ألفاظه معبرة عن ثقافة واعية ، متناصة مع التراث والأساطير، في موسيقى خلابة ، ليجيء إحساسه شدوًا امتزج فيه الفكر بوجدان صادق .

آمل أن يستمر الشاعر في التعبير عن أفكاره ووجدانه على هذا النحو الجمالي ، وأحسبه قادرًا على ذلك .

أ.د. أسامة سليم

أستاذ اللغويات ، ووكيل كلية الآداب السابق

ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة قناة السويس

ومدير مركز المخطوطات

ورئيس النقابة الفرعية لاتحاد الكتاب بالإسماعيلية

الفصل الأول

حــــــــــواديت

كان يشبه الحلم وكانت تشبه الصلاة

في مملكةٍ بعيدة جدًا

لا تعرف الوقت

لا وجود لها على الخرائط

ولا ترصدها الأقمار الصناعية

عاشت أميرةٌ

كان قلبها يعرف الحكايات قبل أن تُروى.

لم تكن تنتظر فارسًا

ولا تبحث عن خاتم عرس.

كانت تنسج فساتينها من ضوء القمر

وتقرأ كتبًا قديمة وأساطير

وتكتب رسائل

لا تُرسلها لأحد.

في الليل

تصعد إلى شرفة البرج

وتبث أمنياتها للنجوم:

«أنا لا أنتظر من ينقذني

أنا فقط أحلم بمن يفهمني

دون أن يحاول كسري».

وذات مساء

اقترب من بوابة القصر شاعرٌ

ضلّ طريقه

وهو يطارد ظل قصيدة.

لم يكن يحمل سيفًا

فقط كتابًا

وقلبًا يشبه غيمة.

قالت:

هل أضعت طريقك؟

قال:

بل عثرت على الضوء

في عينيكِ.

جلست أمامه

سألته:

هل تعرف حدوتة تُقال قبل النوم؟

قال:

بل أعرف حدوتة

لا تنتهي إن بقيتِ مستيقظة.

ظل يحكي ويحكي...

حتى غلبها النعاس

أو هكذا تظاهرت
حملها برفق بين ذراعيه
كمن يحمل قِبلته.

كانت ثلاث جنيات فوق الغيم
يراقبن ما يحدث
وحين وضعها في سريرها
همّ أن يداعب خصلات شعرها
لكنه
رفع رأسه إلى السماء في صمت
وغادر في هدوء
حينها
ابتسمت الجنيات

وهتفن في فرح طفولي:

ها هي قصة حب قد بدأت.

في الليلة التالية

كانت الأميرة تراقب الغيم

من نافذة غرفتها

حين جاءها صوته

كأنه هارب من حلم

على أجنحة كلمات

حلّقت في الهواء...

قصيدةٌ

ربما لم تكن لها

لكنها فهمت أنها عنها.

وفي الطرف الآخر من المملكة

كان الشاعر يتلو نصًّا

كُتب منذ زمن

فلماذا يشعر كأنه كتبه اليوم

لها.

لم يكن بينهما وعد.

لكن كان بينهما

ما يشبه الظل

هادئًا .. حنونًا

لا يزاحم الضوء
لكنه لا يغيب.

في رسائل لم تُكتب
كانت تخبره أنها
تشتاق إليه بلا رغبة.

وفي قصائد لم تُعلن
كان يُهديها
حضنًا... لا جسدًا.

لم تكن تُسميه حبًا
بل تقول:

هو فقط... بهجة تُشبه الحلم

ولم يكن يسميها حبًا

بل يقول:

هي فقط... راحةٌ تُشبه الصلاة.

كانا يكتبان لبعضهما

ما لا يجرؤان على قوله

يحذفان نصف الرسائل

ويتركان النصف الآخر

كغيمةٍ مخبأة في الهواء.

ذات مساء، كتبت له:

أشعر كأنني أعيش على شفا شيء

لا هو خطأ... ولا هو خلاص.

فردّ:

ربما نحن الصواب

الذي جاء متأخرًا

ربما ليُحسن الإصغاء

ويخشى الاقتراب.

كان شعورا بلا خطيئة

لكنه أيضًا بلا راحة

كأن قلبيهما يركضان

بينما أقدامهما مقيدة

بسلاسل من حديد.

هي تضحك

حين يكتب شيئًا لا يعنيها علنًا

ويَقصدها خفية.

كأنه يحاول أن يُخبئها

في سطرٍ لا يقرؤه

إلا قلبها.

كانا

في كل ليلة

يخسران القليل من المقاومة...

ويربحان شيئًا

لا اسم له بعد.

لكن ملامحه بدت شفافة

في ابتسامة الجنيات الثلاث فوق الغيم.

كان يشبه الغيم و كانت تشبه الريح

مضت بضع ليال

كأن السماء قررت فيهن

أن تتحقق كل الأمنيات

الأميرة تطلّ على الشاعر

من شرفتها

أو تنزل إليه

يسيران معا إلى شاطئ البحر

أحيانا يمتد بينهما جسر من الكلمات

وكثيرا كثيرا

يغزل الصمت أحلامهما

ومخاوفهما أيضا

و الجنيات الثلاث

صرن جوقة

في ذلك الكونشيرتو الأسطوري

لكن في تلك الليلة

ارتجف شيء في قلبها

خافت أن ينظر في عينيها

فيقع كل العالم منها

لذا قررت

أن تغلق شرفة الحلم للأبد

أمسكت دفتر يومياتها وكتبت:

أنت حلمٌ ساحر يشبه الغيم

لكنني اخترت أن أبقى نجمةً بعيدة

كي لا أحترق بقربك

تحدرت الدموع على وجنتيها

وهي تصرخ في داخلها:

كيف نسيت أني زوجة ؟

حتى لو كان الأمير غائبا

في العتمة التي تنتظر الفجر

كان الشاعر يدور حول القصر

و قلبه مثقل بالحنين

ينظر إلى شرفة البرج

يمضي إلى البحر

يتطلع إلى السماء

كأنه يطلب من الكون تفسيرًا للغياب

وفوق الغيم الشفيف

كانت الجنيات الثلاث يراقبن ما يحدث

قالت الكبرى (ذات الشعر الليلكي والملامح التي تبدو

كوهج الحنين):

هي أيضا تفتقده

لكن

هل تفتقده كحلمٍ جميل

أم كحقيقةٍ موجعة

إنها ترتاح له

وترتاح معه

لكنها

امرأة

تخشى أن تُهزم في حبٍ

قد لا تستطيع أن تمنحه شرعيته

قالت الوسطى (ذات العينين اللتين تشبهان اشتعال اللهفة):

هو شاعر

لا يجيد إخفاء مشاعره

ولا يفهم لماذا نعطي القليل

مادام القلب ممتلئا

هو فقط يؤمن

أنه إذا أحب

صار البحر اسمه

والشرفة وطنه

والانتظار صلاته

أما الجنية الصغرى فقالت وهي تغزل من البرق أجنحة لكلماتها :

لا أظن أن غيابها كان قرارًا سهلاً

إنها ترتدي خوفها معطفا

لأن الريح داخلها لا تهدأ

هي تبتعد

ليس لأنها لا تحبه

بل لأنها تحبه أكثر مما تحتمل

فهي ترى صورتها في عينيه

وترى قلبها متأرجحا بين الممكن والمستحيل

كان الشاعر حينئذ

قد نقش على الرمل

ما يشبه ابتسامتها

لكن زبد الموج محى كل شيء

كأن البحر

يشاركه حزنه النبيل

ويشفق عليه من وجع الذكرى

قالت الجنية الكبرى:

دعوه الليلة

يطوف بين الشرفة والبحر

كأنه يحرس أمنيته المستحيلة

ويحلم أنها

تعود

همست الجنية الصغرى

وكأنها تُعلن نبوءة:

نعم ستعود

لا لتقول كلامًا

بل

لتصمت معه

صمتًا

يقول كل الكلام

إشارة تشبه غيمة

بعد ليالٍ من الغياب والصمت
أطلت الأميرة من شرفة البرج
وحين لمحته
لوحت له في الهواء
وكأنها رسمت كلمة

أطلت
كأنها لم تغب
كأنها لم تُشعل حريق الانتظار
كأن شيئًا لم يكن

حين لمحها الشاعر

لم يُصدق عينيه

هل هي حقا هناك

حقيقية هذه المرة

أم أن السماء أشفقت عليه

وأرسلت له طيفها

حدق

ثم حدق

أنها هي

هي

بوجهٍ متردد

وابتسامة صغيرة

ونظرة تقول كل شيء

ثم نمحوه سريعا

قالت الجنية الكبرى:

المهم أنها عادت

أكملت الجنية الوسطى:

عادت لتُلقي حجراً صغيراً في بحرٍ ساكن

فعلقت الجنية الصغرى

لكن الصدى... سيكون مدويا

حدّق فيها

وفي الكلمة التي علقت بينهما

كنجمة لم تجد مدارها بعد

ثم ابتسم ابتسامة هادئة

كأنه يقول:

أهلاً بعودتكِ...

ولو بكلمة تشبه غيمة

لكنه لم يقترب من البرج

بل اتجه إلى الشاطئ

وهناك

جلس تحت شجرة عتيقة

ونقش على صفحة الرمل:

أحيانًا

لا نحتاج إلى اعتذار

يكفينا أن نرى الضوء يعود
ولو بإشارة واحدة

أما فوق الغيم
فقد تابعت الجنيات حوارهن

قالت الجنية الكبرى:
لكنها لم تبرر غيابها
أو تشرح سر العودة الغامضة
ربما ليس لديها تبرير
أو تفسير
لعلها أرادت فقط أن تقول: أنا هنا
ولم أبتعد حقًا

قالت الجنية الوسطى:

هي تعرف أنه لن يعاتبها

ولن يسأل

لذا عادت

لأنها أرادت أن تختبر

وقع حضورها عليه

بينما قالت الجنية الصغرى ، مبتسمة:

أنا أظن أن غيابها لم يكن عنه

بل عن نفسها

عن روحها التي همت أن تحتضن روحه

عن عينيها اللتين تلمعان إذا التقتا بعينيه

عن قلبها الذي شعر بالخطر الجميل

لكنها الآن عادت

لأن الشوق

أقوى

وأما هو

فقد بقي هناك

لا يسأل

ولا يطلب تفسيرًا

بل ينتظر

ينتظر لأن قلبه كان يبشره :

أن ثمة زلزال

ربما يكون قريبا

قريبا جدا

***

الشيء الذي لا يشبه الحب

وقفت الأميرة في شرفتها

يداها تمسكان بحافة النافذة

كأنها تتشبث بها

أو ربما تفكر في الرحيل مجددًا

قال لها:

مرحبًا

لم أركِ منذ ليالٍ كثيرة

قالت، بصوت خافت:

ولا أنا رأيتني

سكت قليلا

ثم قال:

هل كنتِ بخير؟

أجابت، دون أن تنظر في عينيه:

كنتُ أحاول أن أكون

جلس على صخرته قرب البحر

همس:

غيابكِ لم يكن عادياً

كأنكِ أخذت معكِ جزءا من المساء

ضحكت ضحكة قصيرة، وقالت:

المساء يعود حين لا يتوقعه أحد

أليس كذلك؟

قال:

وأحياناً يعود وهو خائف أن لا ينتظره أحد

سكتت

ثم قالت فجأة:

كنتُ أحتاج أن أختفي لأعرف إن كنتُ أريد العودة من أجلك

وهل عرفتِ؟

لا

لكنني اشتقت للخيال معك

في السماء

تابعت الجنيات الثلاث المشهد بعيون مشرقة

قالت الجنية الكبرى:

لقد عادت لأنها شعرت أنه سيكون في انتظارها

وأنه احتضن غيابها بالصبر

قالت الجنية الوسطى:

هو لم يُطالبها بحب

بل وعدها أن يبقى لها

وهي التي كانت دائما

تشكو من الغياب

باحت له ذات مساء:

لم يبق لي أحد من قبل

وقالت الجنية الصغرى

وهي تلمس جناحيها بشيء من الحنان:

هي ربما لا تحبه

كما تحب النساء الرجال

لكنها تحبه

كما تُحب الروح من يعيدها إلى نفسها

أما هو

فقد اكتفى أن يسمع صوتها مرة أخرى

أن يراها في الضوء

أن يشعر بأنها هنا

قال في نفسه:

الآن

يمكن للشوق أن يحلق كغيمة

في الليلة التالية

جلسا كما يفعلان دائماً

هو في الأسفل

فوق الصخرة قرب البحر

وهي في الأعلى

تطل من الشرفة

لكن هذه المرة لم تكن المسافة كما كانت

قالت:

أتعلم؟

كثيرًا ما أردت أن أقول شيئًا

لكني أصوم عن الكلام

كأن قلبي يتلعثم

ابتسم وقال:

القلوب لا تتلعثم...

الذي يتلعثم هو العقل

حين يخاف أن يفهم ما لا يريد تصديقه

سكتت برهة

قبل أن تفاجأه بسؤال:

هل تخاف أن نكمل هذا الحديث؟

قال:

بل أخاف إن بدأنا

أن لا نعرف إلى أين سنمضي

وهل يجب أن نمضي معا

في طريق واحد

أم

يساعد كل منا الآخر

على الاستمرار في طريقه

قالت:

انا أيضًا

ربما أخاف

لكني لا أريد أن أهرب بعد الآن

ولا أن أختبئ في كلمات عابرة

لحظة صمت

ثم قالت بصوتٍ أقرب للهمس:

حين تحكي لي

حين تكتب لي

شيءٌ في داخلي ينمو

تابعت وهي تنظر إلى البحر:

لا أعرف ما الذي يربطني بك

لكنه شيء لا يشبه الحب...

تنهدت ببطء ثم أكملت:

أو هكذا أظن

هو لا يشبه الحب الذي يحكون عنه

لكنه شيءٌ

يشبه أن أعود إلى الحياة كلما رأيتك

قال وهو يغالب صمته:

وأنا

حين أراكِ

لا أرى امرأةً فقط

بل أرى مرآةً سحرية

لا تعكس صورتي

بل أكاد أرى قلبي داخلها

تبادلا النظرات

كأنهما يعبران جسرًا من المستحيل إلى الممكن

قالت فجأة:

لا أريد أن أحبك

وأعرف أنك لا تنتظر ذلك

ولا أريدك أن تحبني أيضا

لأنك إن فعلت

سأختفي

أجاب : لا تخافي

لن يحدث ذلك

لكنني أحب أن أكون

المعبر الذي تمرّين عبره

إلى ذاتكِ القديمة

أو الجديدة

ربما

قالت وهي تبتسم بصدق لأول مرة :

وإن أنا عبرتُ

هل ستغلق الباب ورائي

أم تبقى في انتظاري كل مساء؟

قال:

سأبقى

لا لأنني أرجو شيئًا

بل لأنكِ كنتِ الوميض

الذي أضاء لي عتمة

لم أكن أعرف أنني فيها

وفي السماء

قالت الجنيات الثلاث، بصوت واحد

كما لو كن يباركن تلك المشاعر:

الآن ابتدأ شيءٌ حقيقي

ربما لا يشبه الحب

لكنه أجمل من أن يُسمّى بغير ذلك

الفصل الثاني

أحد عشر بوحًا

(١)

يا رفاقي

أنا الآن وجهٌ بلا أقنعة

أصْطَفِيكُم

لأُقرِأَكُم وَجَعِي

فاقرأو ما تَيَسَّرَ مِنِّي

اقرأو ما تَيَسَّرَ من سُورةِ الفَاجِعَة

قلتُ

لكنَّهم أنكروني

وما صاحَ ديكٌ

ولا قابَ قوسين قلبي

ولا جاوزَ السّابعة

(٢)

ثلاثونَ عامًا

المطر، لايُبَلِّلُ الصيف

لكنّه دائمًا دائمًا يَغْسِلُ ذاكرتي

ثلاثون عامًا

النوارسُ لا تُحبُّ الصحراء

لكنها دائماً دائماً تُقيمُ على ضِفافِ أُغنيتي

ثلاثون عامًا

أنا و المطر و النوارس

كنّا ننتظرك

لكنّك

دائمًا دائمًا

تنامين في ذاكرة الله

(٣)

أنا الآن وحدي
ولا شيءَ لي يَنْتَمِي
فَلِمَنْ أَنتَمِي ؟
أَنتَمِي للمسافة
أَنتَمِي للعَصَافِيرِ حينَ تُغَنِّي
لنافذةٍ في جِدارِ الخُرافة
أَنتَمِي لي
وللوطنِ المُستحيلِ
و لامرأةٍ راوَدَتْني عن الحُلمِ
فانتَبَذَتْبي مكانًا قصيًّا
و هزَّت جذوعَ النخيلِ

ليسَّاقَطَ الميِّتون

فيمتلكون دمي

فأصير بهم

ولهم

ويصيرون فيَّ

وتتسعُ الأرضُ بيني و بيني

فأسقطُ ما بيننا

من أنا ؟

(٤)

ضاقتْ سبيلُكَ ؛ فاتَّسِعْ

واصْدَعْ

بما يُوحَى لمائِكَ

أنتَ: ذاكرةُ الوجع

(٥)

هذا المساءُ ، هنا

مهيأٌ أنا ، لارتكابِ القصيدة

و أنتِ

وفي نفس هذا المساء الجميل

هناك

مهيّأةُ للسبي

بينما الإسرائيلي

وهو دائماً كذلك

مُهيّأ ليردنا إلى خيمتنا الأولى

كلٌ مهيّأ لما يتاحُ له

(٦)

أنا الماشيُ المعبّأُ بالصمتِ والأسئلة

أنا باحةُ العشقِ

أم ساحةُ المقصلة

(٧)

لعينيكِ ، كلّ الصّلاه

لعينيكِ ، ترحلُ كلُ النّوارسِ تبحثُ عن:

شاطيءٍ و إله

لعينيكِ كلُّ النّوارسِ ترحل

وكلُّ العصافيرِ ترحل

وكلُّ الفراشاتِ ترحل

و يرحلُ فيكِ القرنفل

ويتركني هائمًا في شذاه

لعينيكِ كل الذي كان

كل الذي سيكون

لعينيكِ ترحلُ كلُّ الأغاني

و تتركني في مهبِّ الجنون

(٨)

هيّأتُ قلبي لاقتلاعِكِ من جُذوري

هيّأتُ نفسي لاقتلاعي

لكنّما

من أول التاريخ كان الله يمتلك اندفاعي

(٩)

و نصف خطيئتي أني هجرت
و نصف خطيئتي أني نسيت
فلا لومٌ عليا إذا رجعت
ولا عذرٌ ، إذا عشقٌ يموت
فأنت خطيئتي الأحلى
و معصيتي الأجن
و صوتكُ همس موسيقاي يا لحني الأحن
و أنتِ براءتي الأُولى
و وشمُ تَميمتي
و حِدَاءُ قافلتي

و رجعُ صدىً لعصفورٍ يئن

و أنتِ الصمتُ

أنتِ البوحُ

أنت الجرحُ ينزفُ دمعةً في مهجتين

و أنتِ فراشةٌ حطّتْ على كَتِفِي

و دَاخَتْ من رَحِيق القُبلتين

فيا إيزيسُ

يا أسطورةَ المَيْتِ الذي يَحْيَا

أنا ميلاد معجزةٍ

سأرجعُ من كهوفِ الموت منتصرًا نبيا

لأعلن دولة العِشْقِ الأخيرةَ في حدودِ المَشْرِقين

(١٠)

ادخليني

فالبلاد

نصَّفَتني

باعَدَتْ بيني وبيني

والمسافاتُ ارتحال

فادخليني

واقطفي وردةَ حُزني

للمصابيحِ التي استوقدتُها ، لذعُ السؤال

والعصافيرُ التي أطعمتُها قد أنكرتني

أنكرتني

وأنا النازفُ أهدابي ، كي أبني أعشاش الطيور

أنكرتني

وأنا بوحُ الفراشاتِ ، وموّال القرنفل

أنكرتني

و أنا الطالعُ من جُبِّ التَمَنّي للسّماء

والسماوات ارتقاء

فاصعدي

ثم اصعدي

ثم اصعدي

واخلعي نعليكِ عند المنتهى

ثم ادخليني

(١١)

سقط القلب كثيرًا

سقط القلب كسيرًا

وكثيرًا جدًا

سقط القلب

في أروقةِ التاريخِ تعثّر

وتعثّرَ في مملكة الرب

لكن القلب المحزون

ما زالت تسكنه أحلامٌ و جنون

وبرغم غياباتِ الجُب

ما زال القلب المُتعَب

يبحث عن «ن»

ويؤمن بالحب

الفهرس

تم بحمد الله



إلى أمي

التي علمتني أن أرى الله في كل شيء

عليها صلوات من الله ورحمة

كل ما كتبته

كان قبسًا من نورك

حسن السيد

حدوتة

واحد عشر يوحنا